



لم يكن الانفصام النكـد بين الشرع والسياسة ولـيد هذا العصر بل كانت بداياته منـذ أزمنـة مـديدة، بل بـذورـه كانت منـذ أيام الخـلافـة العـبـاسـية بـسبـب تـقـصـير حـمـلة الشـرـيعـة فـي إـيجـاد حلـول شـرـيعـة لـلـنـواـزـل المـسـتـجـدـة مـاـمـا أـدـى بـالـسـاسـة لـلـحـكـم بـالـرأـي المـخـالـف لـلـكـتـاب وـالـسـنـة، فـكـانـت السـيـاسـة غـيـر الشـرـيعـة.

وقد بينـتـ هذهـ الحـقـيقـةـ لـبـنـ تـيمـيـةـ فـيـ كـلـامـ نـفـيـسـ،ـ قـالـ رـحـمـهـ اللـهــ فـيـ ((ـمـجـمـوعـ الـفـتاـوىـ))ـ (ـ20ـ /ـ 392ـ -ـ 393ـ):ـ ثـبـتـ فـيـ الصـحـيـحـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهــ صـلـىـ اللـهــ عـلـيـهـ وـسـلـمــ أـنـهـ قـالـ:ـ إـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ كـانـتـ تـسـوـسـهـمـ الـأـنـبـيـاءـ،ـ كـلـمـاـ مـاتـ نـبـيـ قـامـ نـبـيـ،ـ وـأـنـهـ لـأـنـيـ بـعـدـيـ،ـ وـسـيـكـونـ خـلـفـاءـ يـكـثـرـونــ.ـ قـالـوـاـ:ـ فـمـاـ تـأـمـرـنـاـ؟ـ قـالـ:ـ أـوـفـواـ بـيـعـةـ الـأـوـلـ،ـ وـأـعـطـوـهـمـ حـقـهـمـ؛ـ إـنـ اللـهـ سـائـلـهـمـ عـمـاـ اـسـتـرـعـاهــ

فـلـمـ صـارـتـ الـخـلـافـةـ فـيـ وـلـدـ الـعـبـاسـ وـاحـتـاجـواـ إـلـىـ سـيـاسـةـ النـاسـ وـتـقـلـدـ لـهـمـ الـقـضـاءـ مـنـ تـقـلـدـهـ مـنـ فـقـهـاءـ الـعـرـاقـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ مـاـ مـعـهـمـ مـنـ الـعـلـمـ كـافـيـاـ فـيـ السـيـاسـةـ الـعـادـلـةـ:ـ اـحـتـاجـواـ حـيـنـئـذـ إـلـىـ وـضـعـ وـلـاـيـةـ الـمـظـالـمـ،ـ وـجـعـلـوـاـ وـلـاـيـةـ حـرـبـ غـيـرـ وـلـاـيـةـ شـرـعـ،ـ وـتـعـاـضـمـ الـأـمـرـ فـيـ كـثـيـرـ مـنـ أـمـصـارـ الـمـسـلـمـيـنـ؛ـ حـتـىـ صـارـ يـقـالـ:ـ الـشـرـعـ وـالـسـيـاسـةـ،ـ وـهـذـاـ يـدـعـوـ خـصـمـهـ إـلـىـ الـشـرـعـ وـهـذـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ السـيـاسـةـ،ـ سـوـغـ حـاـكـمـاـ أـنـ يـحـكـمـ بـالـشـرـعـ وـالـآـخـرـ بـالـسـيـاسـةــ.

وـالـسـبـبـ فـيـ ذـلـكـ أـنـ الـذـيـنـ اـنـتـسـبـوـ إـلـىـ الـشـرـعـ قـصـرـوـاـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـسـنـةـ،ـ فـحـارـتـ أـمـرـوـرـ كـثـيـرـةـ:ـ إـذـاـ حـكـمـوـاـ ضـيـعـوـ الـحـقـوقـ وـعـطـلـوـاـ الـحـدـودـ؛ـ حـتـىـ تـُـسـفـكـ الـدـمـاءـ،ـ وـتـؤـخـذـ الـأـمـوـالـ،ـ وـتـُـسـتـبـاحـ الـمـحـرـمـاتـ،ـ وـالـذـيـنـ اـنـتـسـبـوـ إـلـىـ السـيـاسـةـ صـارـوـاـ يـسـوـسـوـنـ بـنـوـعـ مـنـ الـرـأـيـ مـنـ غـيـرـ اـعـتـصـامـ بـالـكـتـابـ وـالـسـنـةـ،ـ وـخـيـرـهـمـ الـذـيـ يـحـكـمـ بـلـاـ هـوـيـ وـتـحـرـىـ الـعـدـلـ،ـ وـكـثـيـرـ مـنـهـمـ يـحـكـمـونـ بـالـهـوـيـ وـيـحـابـونـ الـقـوـيـ وـمـنـ يـرـشـوـهـمـ وـنـحـوـ ذـلـكــ.

وـكـذـلـكـ كـانـتـ الـأـمـصـارـ الـتـيـ ظـهـرـ فـيـهـاـ مـذـهـبـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ يـكـونـ فـيـهـاـ مـنـ الـحـكـمـ بـالـعـدـلـ مـاـ لـيـسـ فـيـ غـيـرـهـاـ مـنـ جـعـلـ صـاحـبـ الـحـرـبـ مـتـبـعـاـ لـصـاحـبـ الـكـتـابـ مـاـ لـاـ يـكـونـ فـيـ الـأـمـصـارـ الـتـيـ ظـهـرـ فـيـهـاـ مـذـهـبـ أـهـلـ الـعـرـاقـ وـمـنـ اـتـبـعـهـمـ،ـ حـيـثـ يـكـونـ فـيـ هـذـهـ وـالـيـ الـحـرـبـ غـيـرـ مـتـبـعـ لـصـاحـبـ الـعـلـمـ،ـ وـقـدـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ كـتـابـهـ:ـ {ـلـَقـدـ أـرـسـلـنـاـ رـسـلـنـاـ بـالـبـيـنـاتـ وـأـنـزـلـنـاـ مـعـهـمـ ...ـ}ـ الـآـيـةــ

فقام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر: {وَكَفَى بِرِّيكَ هَادِيًّا وَتَصِيرًا}.

ودين الإسلام أن يكون السيف تابعاً للكتاب، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنّة وكان السيف تابعاً لذلك كان أمر الإسلام قائماً، وأهل المدينة أولى الأمصار بمثل ذلك، أما على عهد الخلفاء الراشدين؛ فكان الأمر كذلك، وأما بعدهم؛ فهم في ذلك أرجح من غيرهم، وأما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير وكان السيف تارة يوافق الكتاب وتارة يخالفه؛ كان دين من هو كذلك بحسب ذلك.

صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: